مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ٤-١١)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لكونِه غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرةِ محبتِه التي أحبَّنا بها* حين كنَّا أمواتاً بالزَّلاَّتِ أحيانا مع المسيح. (فإنَّكم بالنعمة مخلَّصون)* وأقامَنا معه وأجلسنا معه في السماويَّاتِ في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبلةِ فَرْطَ غِنى نِعمته باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنعمةِ مخلَّصونَ بواسطةِ الإيمان. وذلك ليسَ منكم إنَّما هو عطيَّةُ اللهِ* وليس من الأعمالِ لئلاَّ يفتخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحنُ صُنعُه مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ للأعمالِ الصالحةِ التي سبَقَ اللهُ فأعدَّها لنسلُكَ فيها.

الإنجيل

(لوقا ١٦: ١٩-٣١)

قال الربُّ كان إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأُرجوانَ والبَزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يومٍ تنعُّماً

القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس العجائبي

لعل أكثر ما كان ينجّي القديس نكتاريوس، في أحلك أوقات قسوة الشرير عليه وظلم الناس، سهره الدائم على طهر قلبه وسعيه في إثر الله وتلمّس وجهه القدوس بلا كلل. مناجاة الله واكتشاف حضوره في الكون، في المخلوقات، وفي صغار الناس ذوي القلوب النقيّة، كانت تعزّيه في التجارب وتشدّده. عن هذا السعي، الذي يمسي لدى المؤمن نهج حياة، يقول القديس إن عدم الإيمان هو، بلا أدنى شك، نسل شرير لقلب شرير. فالصادق الصالح والنقي القلب يكتشف وجه الله كيفما تلفت، واينما حلّ يميّز حضوره، وهو يؤمن بالله يقيناً وبلا تردد في كل وقت وظرف. ذو القلب النقي يتأمل الطبيعة بسمائها وأرضها، ببحارها وكل ما فيها، بأشكال طيورها ونباتاتها وسائر أحيائها، يتأمل الأنظمة الكونية التي ترتب الطبيعة ودقة نظامها، فينذهل إذ يرى فيها شيئاً من عظمة الخالق ويهتف مع صاحب المزامير «ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صنعت». هكذا إنسان، ولأن طهر قلبه يحرّكه، يكتشف الله في عالم النعمة الذي هو الكنيسة، هذا العالم الذي لا مكان للشرير فيه. ذو القلب النقي يؤمن بالكنيسة ويبتهج بروحانيتها، ويعاشر الله في أسرارها وفي قمم لاهوتها. هذا يكتشف الله في نور الإعلانات الإلهية وفي حقائق التعليم ووصايا الشريعة، في مآثر القديسين وفي كل عمل صالح وكل موهبة كاملة. هذا الإنسان متى تنقى قلبه يكتشف وجه الله في كل الخليقة، أينما تلفّت، فيتحقق فيه قول السيد المبارك في تطويباته: «طوبى لأنقياء القلوب، فإنهم يعاينون الله».

أما عن معرفة الذات فيقول القديس إن من لا يتوصل إلى معرفة ذاته لا يمكنه أن يصل إلى معرفة الله، ومن لا يعرف الله لا يعرف الحق، ولا حتى شيئاً من حقائق الحياة عموماً. من لا يعرف ذاته، ولأنه لا يتقن التمييز يأثم أمام الله باستمرار وبالتالي يبتعد عنه باستمرار. من لا يعرف الحق ولا يميّز حقائق الأمور هو أعجز من أن يقيّم جدواها، وحتى من أن يفصل بين

العدد ٢٠٠٧/٤٤

الأحد ٤ تشرين الثاني

تذكار أبينا البار ايوانيكيوس الكبير والقديسين الشهيدين نيكاندروس أسقف ميرا وأ رميوس القس

اللحن السادس

فاخِراً* وكان مسكينٌ اسمُهُ لعازرُ مطروحاً عند بابهِ مُصاباً بالقُروحِ* وكان يشتهي أن يَشبَعَ من الفُتاتِ الذي يسقطُ من مائدةِ الغني. بل كانتِ الكلابُ تأتي وتلحسُ قروحَه* ثم ماتَ المسكينُ فنَقَلَتْهُ الملائِكةُ إلى حِضنِ إبرهيمَ وماتَ الغنيُّ أيضاً فدُفنَ* فرفع عينيهِ في الجحيم وهو في العذابِ فرأى إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ في حِضنه* فنادى قائلاً يا أبتِ إبرهيمُ ارحمني وأرسِلْ لعازرَ ليُغمِّسَ طَرَفَ إصبَعِهِ في الماءِ ويبرِّدَ لساني لأنّي مُعذَّبٌ في هذا اللهيب* فقال ابرهيمُ تذكَّر يا ابني أنَّك نِلتَ خيراتِك في حياتِك ولعازرُ كذلك بلاياه. والآن فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّبُ* وعلاوةً على هذا كلّه فبيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبِتَتْ حتى إنَّ الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون ولا الذين هناك أن يعبُروا إلينا* فقال أسألكَ إذاً يا أبتِ أن تُرسِلَهُ إلى بيتِ أبي* فإنَّ لي خمسةَ إخوةٍ حتى يشهدَ لهم لكي لا يأتوا هم أيضاً إلى موضعِ العذابِ هذا* فقال لهُ إبرهيم إنَّ عندهم موسى والأنبياءَ فليسمعوا منهم* قال لا يا

البخس والثمين، بين النافع والضار. لهذه الأسباب يستهلك هذا الإنسان ذاته في الجدّ وراء التوافه والزائلات، وهو يظنها باقيات أو ذوات قيمة، ولا تعنيه الكنوز الحقيقية التي لا تفسد ولا تزول... فقط لأنه يجهلها. لكي يحيا، على الإنسان أن ينوي على الجدّ وراء معرفة ذاته، من أجل معرفة الله ومعرفة حقائق الأمور كما هي، فيعرف القيّم من التافه والباقي من الزائل، ويتقن فن الاختيار، فتتحقق فيه إذذاك صورة الله ومثاله.

في السياق نفسه، وبتكملة عملية لما سبق، يوصي القديس بأن «أطلبوا الله في كل حين». أي أن يقتني الإنسان هذا الاندفاع العفوي المستمر نحو اقتناء الله، في القلب – مركز الكيان – وليس في أي مكان آخر. ومتى وجدت الله في قلبك، يقول القديس، قف برعدة وخوف كالملائكة، فقد صار قلبك عرشاً للقدّوس. هذا يعني أيضاً أن الله صار هو قلب كيانك، مركز حياتك، محرّكها ومشتهاها. إنما من أجل أن يجد الإنسان الله عليه أن يتّضع، بل أن ينسحق كالغبار أمام الله. فالله الذي لا يرذل القلب الخاشع المتواضع يمقت المغرور وذا الكبرياء.

في الصلاة

قلنا سابقاً ان قراءة الكتاب المقدس تهيِّء للمؤمن الإطار والجو المناسبين للصلاة. إضافة إلى الكتاب المقدّس، فإنّ قراءة سيرة قديس اليوم إلى جانب نصّ آبائي يمكنها تأمين راحة من ضيقات النهار، كما يمكنها مساعدتنا في التحضير لإيداع أنفسنا بين يدي الله. لكن لا نظنننَّ أنّه بإمكاننا التعامل مع الله لبضع دقائق فقط من الساعات الأربع والعشرين، لأنّ الله موجود طوال النهار. فإنّ هذا الحضور الإلهي يجب أن يرافقنا دائماً حتى تكون كلُّ أعمالنا تهيئةً للأوقات المقدّسة التي فيها نعانق الله؛ وبدورها، فإنّ هذه الأوقات المقدّسة تجعلنا أقوياء في جهاداتنا المقبلة.

كل الأمور تتم بهدوء تحت أنظار الله الذي يباركنا ويقدّسنا؛ وإن حصل وخرجنا عن الطريق الصحيح، فإنّه يتدخّل بسرعة كي يعيدنا إليها.

+كيف نصلّي؟

يجب أن تكون الصلاة ممارسةً مُنظَّمة ومنتَظمة في حياتنا يرافقها التقوى والوقار إضافةً إلى الانتباه المطلق. لكي نصلّي كما يليق بمحادثة مع الله، علينا أن نعي الفائدة العظمى التي للصلاة من دون الاهتمام بما إذا كانت ثمّة استجابة لهذه الصلاة أم لا. فالإنسان الذي صلاته هي محادثة حقيقيّة مع الله يستحيل ملاكاً أرضيًّا.

لا يطلب منا الله أن نخاطبه مستعملين كلاماً جميلاً، بل كلاماً منبثقاً من روح جميلة. ولا تحتاج الصلاة إلى وسطاء أو شكليات أو مواعيد مسبقة لأنّ الباب مفتوحٌ دائماً والرب ينتظرنا. وإذا كنّا بعيدين عن الله فهذا أمر متوقف علينا نحن إذ إنّ الله قريب منّا دائماً. إذاً، لا نحتاج إلى الفصاحة والبلاغة عندما نخاطب الله الذي يستمع إلينا مهما كانت لغتنا ركيكةً وخطابنا ضعيفاً؛ إنّه يفهمنا تماماً حتى ولو تلفظنا بكلمات قليلة.

كلّ الأوقات والأزمنة موافقة للصلاة، أما الإطالة والتفنّن بطريقة الصلاة فهما ليسا ضروريّين، إذ يكفي أن تكون لدينا الرغبة في

أبتِ إبرهيمُ بل إذا مضى إليهم واحِدٌ من الأمواتِ يتوبون* فقال لهُ إن لم يسمعوا من موسى والأنبياءِ فإنَّهم ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدّقونه.

تأمل

ينبغي لنا أن نُطهِّر ذواتنا وننبّه عقولنا ونبادر إلى العمل بمشيئة ربنا لئلاّ نشابه القوم الذين لهم أعينٌ ولا يبصرون ولهم آذانٌ ولا يسمعون ولهم قلوبٌ ولا يفهمون. ولنزرع الأقوال الصالحة في أراضي العقول الجيدة الخالية من الأشواك والبعيدة عن قوارع الطرق لنأتي بالثمار الزكية عوضاً عن الواحد مئة. إذا كان مراد ربنا أن نترك التمسك بالفانيات ونجتهد في تحصيل الباقيات فما بالك يا هذا إلى الآن تجمع ذهباً وتجتهد أن تكثر مقتنياتك. وحتى متى تستكثر من الشهود بأنك عبدٌ للمال وخادم للشياطين وإلى متى تجتهد أن تصنع لنفسك سجناً حريزاً وتعِدُّ فيه الأغلال والسلاسل وآلات العذاب. افرض أيها المُغرَم بكثرة الثروة انك قد حويت كل المعادن وجميع خزائن الملوك فهل تحصل على أكثر من ملء جوفك وستر عورتك ويكون الفاضل

أن نصلّي ليصبح تعلّم طرق الصلاة وفنونها سريعاً وغير مُتعِبٍ.

إنّ أسلوب الصلاة هو المهمّ. يجب أن نصلّي بفطنة وندم باحثين عن التقدّم الروحي، غافرين للآخرين وطالبين منهم المغفرة، متمّمين ذلك بتواضع حقيقي. وصلواتنا ستكون مسموعةً ومقبولةً إذا صلّينا كما يريدنا الله أن نصلّي: أن نستمر بالصلاة باحثين عمّا فيه إفادة لنفوسنا ونفوس الآخرين، أن تكون دوافعنا نقيّة ومبتعدين عن التركيز على الأمور الماديّة. ومن المؤكّد أنه حين نصلّي يجب ألاّ نكون مركّزين فقط على فكرة نيل ما نريد، لكنّ الهدف الأهمّ هو جعل نفوسنا أفضل بواسطة الصلاة، والإنسان الذي يصلّي لهذا الهدف يصبح أقوى من أيّ قوّة أرضيّة ويمكنه تالياً أن يتطاير فوق كلّ الأمور الماديّة.

كي تكون الصلاة فاعلة عليها أن تكون دائمة ومتواصلة. بمعنى أنه يجب على الإنسان أن يضع لنفسه (والأفضل بإرشاد الأب الروحي) قانون صلاة يومي. ليس المهم أن يكون طويلاً لأنه قد لا يحتمله فيتوقف عن ممارسته في اليوم التالي. المهم أن يمارسه كل يوم ولو كان قانوناً صغيراً. الصلاة اليومية هي كالحنفية التي تنقط الماء نقطة نقطة على الصخر، فلا بد أن تترك أثراً بعد حين. لكن ممارسته الصلاة لساعات مرَّة في الشهر هي كمن يرمي دلو ماء على الصخرة كل شهر، فلن يترك الماء أثراً على الصخر.

+ الإستجابة لصلواتنا:

إن التأخر في استجابة طلباتنا هو امتحان لحياتنا الروحيّة، وهذا لا يدل على أنّ الله لا يسمع صلواتنا أو أنّه يتجاهل معاناتنا. فالله لا يريدنا أن ننزعج أو نتعذّب، لكنّه يريدنا أن نكون على تواصل دائم معه من خلال صلواتنا الحارّة، والتي يجب أن تزيد إن لم تُستَجَب سريعاً. يجب أن نشكر الله حتى ولو لم يمنحنا ما طلبناه، لأنه على أيّ حال يعمل من أجل مصلحتنا. المهمّ ألاّ نفقد الأمل بسرعة إذا لم ننل ما صلّينا من أجله، إذ إنّ الله يكون بذلك في معرض اختبار صبرنا، فدعونا لا نتعب بسرعة.

في حال عدم نيلنا ما طلبنا، يجب أن نشكر الله كما لو أنّ صلواتنا استُجيبت، إذ إنّه يعلم ما نحتاجه حقاً أكثر ممّا نعلم نحن. فمن الممكن ألا تتحقّق آمالُنا لأنّ ما نرغب فيه قد لا يكون ضروريًّا حتى ولو شعرنا حينها بأنّه لا يمكن العيش من دونه. فإن كان ثمّة ما هو غاية في الأهميّة لأجل خلاصنا فالله سيمنحنا إياه من دون شك. لذا، يؤكّد لنا القديس يوحنا الذهبي الفم أنّه حتى في حال رُفِضت طلباتنا نكون نجحنا في الجوهر، لأنّ أيّ فشل نافع لحياتنا هو في الحقيقة نجاحٌ.

قد تسأل: «إنّني، يا أبتِ، أطلب أموراً روحيّة فيها منفعة لي، فلماذا لستُ أنالها إذاً؟». ربما يكون السبب أنّك غير متحمّس بما يكفي تجاه ما تطلب، أو لأنّك لا تطلب من أعماق قلبك بل متأثراً بمصادر وحوافز أخرى، أو ربما قد لا تكون حينها مستحقاً لتنال تلك الأمور. من المستحيل أن يتجاهلك من دون سبب الله، الذي يهتم بحيوانات الأرض ونباتاتها والذي يملك رحمةً غنيّة عظمى. إنّ اليأس والهرب من خيبة الأمل واللامبالاة إضافة إلى الإهمال

عندك من الأموال بمنزلة الحجارة أو التراب. وإذا كنت لا تسعف الضعيف ولا ترحم الفقير ولا تفرج المكروب وإن كنت تجمع كثيراً وتصرف قليلاً فما بالك لا تنظر إلى اجتهادك الباطل ولا تفتكر في التعب الواقع عليك والراحة المبتعدة عنك. لأنك الآن تشبه الكلب الكَلِب والخنزير الجائع إذ تمشي مهرولاً وتجري سابقاً وتُحدِّق إلى الذين عن يمينك ويسارك كالمجانين مع ما يضاف إلى ذلك من الأتعاب والمخاصمات ومكابدة الأسفار وأهوال البحر وغير ذلك. فتريد أن تُحزِن الناس بأخذ أموالهم والناس يريدون أن تكون حزيناً وخائباً. لأن الغنيَّ البخيل الشحيح بما عندهُ يبغضهُ بنوه وزوجته وجاره وقريبه ويريدون موتهُ لينتفعوا بميراثهِ ويشتهون ورود المصائب عليه. ويكون بعيداً عن رحمة الله وقريباً من الشياطين مهيَّأً لعذاب الجحيم. ولعمري ان مكاره حب المال كثيرة جدًّا لا يُستطاع إحصاؤها. فإنِ قلتَ ان الغنيَّ يسرُّ ويلتذُّ بجمع المال وضبطهِ لأنه يعلم ان لهُ كنوزاً وخزائنَ ويرى غيرهُ فقيراً خالياً منها قلتُ هذا مرضٌ عقليٌّ شبيه بأمراض الأجسام. فإن الأموال طالما جعلت الأغنياء الجهال أشدَّ جهلاً وفسقاً من الفقراء لأنه كلما كثرت نعمة الجاهلين

والشك، كلّ ذلك يدل على أنّنا لا ندري ما نريد وما نطلب. ثمّة أوقات حيث يبدو جليًّا أنّنا نصلّي من أجل أمور غير مهمّة وغير نافعة لأنّنا نجد أنفسنا نصلّي اليوم من أجل أمور مختلفة عن التي صلّينا من أجلها بالأمس وهذا دليل على أنّنا كنا نطلب ما لا منفعة فيه لأنفسنا. فمرض تغيير الرغبات الدائم يمكن فهمه بسيكولوجيًّا لكنّه في الوقت نفسه يؤثّر في حياة الصلاة سلباً. والتغييرات الأساسية في طريقة إقامتنا الصلاة تتأتّى من الخبرات الروحية ومن النسيم الإلهي كما من همسات الروح القدس ومن القلوب السلاميّة والمتفهمة ومتى تطوّرت قلوبنا تطوّر أداؤنا في الصلاة.

يطرح القديس يوحنا الذهبي الفم بعض الأسئلة ويعطي أجوبة تلخّص المسألة جيّداً: «هل أنت في حالة من الهدوء والصفاء؟ إذاً، توسل إلى الرب أن يجعل هذا الفرح دائماً في قلبك. هل أنت مضطرب بسبب تعرّضك لهجوم من المحن والإغراءات؟ توسل إلى السيّد أن يهدّئ العاصفة. هل استُجيبت صلاتُك؟ أشكر الله. لم تُستجَب طلباتُك؟ ثابر على الصلاة إلى أن تُسمَع صلاتُك».

فتقديم الشكر لله على الحسنات التي ننالها هو أمر طبيعيّ، لكن أن نكون قادرين على شكر الله، حتى على ما يصيبنا من سيّئات هو أمر جدير بالملاحظة. وعندما نستطيع القيام بذلك فإنّنا نُفرِح الله ونخزي الشيطان، وعندئذٍ يستحيل حزننا فرحاً. وتالياً، مغبوط الإنسان الذي يستطيع أن يقدّم شكراً لله في وسط معاناته.

القديس يوحنا السلّمي يقول إنّ الصلاة الفعّالة تتميّز بعنصرَين أساسيين: تقديم شكر صادق والاعتراف بتوبة. كما يخبرنا القديس بأنّ صلاتنا لا تُستجاب أحياناً لعدّة أسباب: قد نكون طلبنا قبل الوقت المناسب، أو أنّنا غير مستحقين، أو أنّنا إذا نلنا ما صلّينا من أجله قد نقع في خطيئة الكبرياء، كما أنّنا إذا حصلنا على سؤالنا قد نقع في خطيئة الإهمال.

عيد رؤساء الملائكة

بمناسبة عيد رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل وسائر رؤساء الملائكة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس عند السادسة من مساء الأربعاء ٧ تشرين الثاني ٢٠٠٧ خدمة صلاة الغروب وعند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٨ تشرين الثاني القداس الإلهي في كنيسة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في المزرعة.

عيد الرسول كوارتس

بمناسبة عيد الرسول كوارتس مؤسس أبرشية بيروت يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ٩ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ١٠ تشرين الثاني في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb